دلالة الشجر في القرآن الكريم

م.م. رؤى فليح خضير

جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية

المقدمة:

لا ترد كلمة ما في القرآن الكريم او تتكرر من غير أن يكون لها أهمية خاصة، يراد منها عدة أوجه للدلالة على مسألة ما. وكلمة (الشجرة) ومشتقاتها من بين تلك الكلمات التي تخفي خلفها دلالات واسعة، ويسعى البحث الى الكشف عنها واضاءة الغامض منها.

وقد تناول القرآن الكريم النبات على ثلاثة وجوه. الوجه الأول أن يذكر لفظة شجرة او الشجر حصرا كما سيتبين في متن هذا البحث.

أما الوجه الثاني فيتم تسمية النبات كالنخيل والاعناب والتين والزيتون والرمان والطلح والسدر والاثل كي يعدد نعم الله او يصف به الجنة او يستخدمه للتشبيه. كما في الاية ((فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب)) (١) حيث يصف الله الجنة كبستان ملئ بالأشجار. اما التشبيه فمثاله من الاية ((فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية))(٢). اما في باب نعم الله، يرد في القرآن الاية ((من ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا))(٣)

أما الوجه الثالث فيذكر فيه القرآن صفات وحالات تدل على النباتات والأشجار من غير تحديد لا بذكر نوع الشجرة كالنخيل والعنب والتين الخ، ولا بذكر لفظة الشجرة.

ستناول بحثنا هذا بالتفصيل الايات التي وردت فيها لفظة الشجرة ومشتقاتها حصرا دون الوجوه الأخرى لتبيان دلالة هذه اللفظة في القرآن الكريم ووجوه او صيغ استخدامها وهو ما يعبر عن عمق الثراء في النص القرآني وقابليته الفذة على التأويل والقراءة المتعددة.

---

(١) (المؤمنون: ١٩)

(٢) (الحاقة: ٧)

(٣) (النحل: ٦٧)

فرضية البحث:

يفترض البحث وجود ثلاثة صيغ او انماط من لفظة (شجرة) في القرآن الكريم حسب السياق الذي ترد فيه، ويحاول أن يكشف عن هذه الأنماط مما يعزز فهمنا لطبقات المعنى في النص القرآني.

منهج الدراسة:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي، من خلال تحليل الآيات التي وردت فيها لفظة شجرة، والوقوف على الدلالة اللغوية، والمعاني الناتجة عنها وذلك بالرجوع الى كتب التفسير القديمة والحديثة من اجل معرفة معاني الآيات، والهدف من ورود لفظة الشجرة في كل منها.

حدود البحث:

تحدد البحث بجميع الآيات التي يرد فيها ذكر لفظة (شجرة) وحسب النمط الخاص بها من حيث التصنيف، مع ذكر قائمة بالآيات في ملحق البحث.

هيكلية البحث:

قسم البحث الى محورين رئيسين. المحور الأول يستقصي لفظة (الشجرة) من الناحية اللغوية من اجل الخروج بتعريف موضوعي للفظة وتمييزها عن الالفاظ المشابهة. اما المحور الثاني فقط تناول التصنيفات الثلاثة للفظة الشجرة بالتفصيل.

أولا: دلالة (الشجر) في اللغة

وردت لفظة شجر في القرآن الكريم كاسم جنس جمعي ويقصد به ((ما تضمن معنى الجمع ودلّ على الجنس، وله مفردة من لفظه ومعناه))(٤)، وبما أن (شجر) ثلاثي الاحرف فإنه يكون على وزن (فَعَلَ) ومفرده (فَعَلَة) نحو: بقرة– بقر، شجرة– شجر))(٥).

ويعرف كتاب المفردات لفظة شجرة على انها ((من النبات ماله ساق، يقال شجرةٌ وشجرٌ نحو ثمرة وثمر))(٦).

(٤) موسوعة النحو والصرف والاعراب، اميل بديع/٦٤.

(٥) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، ص٣٣٧.

(٦) كتاب المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الراغب الاصفهاني، ص٧٥.

وفي لسان العرب يتكرر المعنى ذاته للشجرة على أنها النبات القائم على ساق، ويضيف اليه ((الشجر كل ما سما بنفسه، دقّ او جل، قاوم الشتاء او عجز عنه))(٧)، والجدير بالذكر إضافة عبارة (ما سما بنفسه) الى تعريف الشجرة أي كل ما ارتفع عن الأرض قائما بذاته.

والشجرة في كتاب مجمل اللغة: ((شجر: الشَّجَرُ: جمع شَجَرةٍ ووادٍ، شجيرٌ: كثيرُ الشجرِ. وهذهِ الارضُ أشجرُ من هذهِ أي أكثرُ شجراً)) (٨)

من جهة أخرى يعرف ابن السكيت الأصل اللغوي (شَجَر) بأنه ((كل ما سمك ورفع فقد شَجَر. وشجر الشجرة والنبات رفع ما تدلى من اغصانها))(٩) فقد أضاف (السمك) الى التعريفات السابقة. بينما يرد في كتاب مجمل اللغة على انه ((من النبت: ماله ساق))(١٠) وحينما يقال ((واد شجير: كثير الشجر. وهذه الأرض أشجر من هذه أي أكثر شجرا))(١١)

ويؤكد المعنى ذاته أبو بكر الرازي في كتابه مختار الصحاح بقوله ((ما كان على ساق من نبات الأرض))(١٢).

من جهته يرد في المعجم الوسيط ((والشجر والنبات شجرتا: رفع ما تدلى من اغصانه – الشجر– نبات يقوم على ساق صلبة وقد يطلق على كل نبات غير قائم (...) وعلماء النبات يطلقونه على القائم على ساق خشبية(١٣).

ويتداخل مع الجذر اللغوي (ش ج ر) ذلك المتعلق بالشجار والمشاجرة، فيأتي بمعنى النزاع والقتال كما في الآية ((فيما شجر بينهم))(١٤)، او المثال (وشجره بالرمح أي طعنه بالرمح))(١٥) وهو ما يخرج عن بحثنا، الذي يتناول النبات حصرا دون المشتقات اللغوية الأخرى للجذر نفسه.

---

(٧) لسان العرب، ابن منظور: (ج٣٩٤/٤)

(٨) مجمل اللغة، أبو الحسين بن زكريا، ص٣٦٠

(٩) لسان العرب، مصدر سابق، (ج٣٩٤/٤)

(١٠) مجمل اللغة، مصدر سابق، ص ٣٦.

(١١) المصدر نفسه، ص٣٦.

(١٢) ينظر: مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، ص ٣٢٩.

(١٣) ينظر المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، ٤٧٣.

(١٤) (النساء: ٦٥)

(١٥) المنجد في اللغة: لويس معلوف، ص٣٧٤.

نخلص من تناول الجانب اللغوي في لفظة (شجرة) إلى انها لفظة متعلقة بنوع خاص من النباتات، يقف على ساق خشبية سميكة ويرتفع عن الأرض له اغصان تتدلى، ويدخل في بابه العديد من النباتات كالنخيل والزيتون والموز وما إلى ذلك.

ثانيا: دلالة لفظة الشجر في القرآن الكريم

ترد لفظة الشجر ومشتقاتها في ٢٥خمس وعشرين موضعا، متخذة اشكالا وصيغا دلالية متعددة. وجدنا انها تنضوي تحت ثلاثة صيغ رئيسة، وهي الدلالة الإيجابية، والدلالة السلبية والدلالة الحيادية.

الصيغة الأولى:

يرسم القرآن الكريم مستويين على الأقل من التناول في العديد من المواضيع التي يطرحها. فهو يرشد البشرية إلى طريق الخير والصلاح والمنفعة والسعادة، وهو من جهة مقابلة يحذر الناس من طريق الشر والضرر والشقاء. ويتخذ في ذلك وسائل قريبة من الانسان كي يراقبها بنفسه مثل ما يرد في القرآن من ذكر الحيوانات بمختلف أنواعها، والطبيعة بجبالها وانهاراها وغيومها، وكذلك يستخدم القرآن الشجر والنباتات في هذا السياق. وبذلك يتم ذكر الشجر على وفق دلالة إيجابية تارة ودلالة سلبية تارة أخرى. فالقرآن لا يحدد الأوامر والنواهي في اتباع الحق فقط؛ بل ويعطي للإنسان الأمثلة على المخلوقات النافعة له، ويدله على طرق الاستفادة منها.

ففي قوله تعالى ((وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وصبغٌ للآكلين))(١٦)، قيل أنها شجرة الزيتون، تطرح الدهن الذي له فوائد جمة، يقول الطبري ((واختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: المبارك، كأن معنى الكلام عنده: وشجرة تخرج من جبل مبارك))(١٧) والتركيز هنا على فعل الانشاء الخاص بالله وحده من بين جميع الكائنات لتأكيد الدلالة الإيجابية للشجرة التي ((تثمر بالدهن))(١٨) ويستخدمها الاكلون في منافع شتى.

وهي شجرة الزيتون التي لأهميتها ذكرها الله في سورة النور أيضا بقوله ((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))(١٩) والصفات في هذه الاية لضرب المثل على نور الله تعالى الذي ملأ نوره

---

(١٦) (المؤمنون: ٢٠)

(١٧) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري: (ج٢١/١٩)

(١٨) ينظر: الميزان، الطباطبائي: (ج١٣/١٥)

(١٩) (النور: ٣٥)

السموات والأرض. والاشارة الى شجرة الزيتون هنا لأن زيتها شديد الصفاء واللمعان. والدلالة من هذا كله أن الله ((هادي من في السماوات والأرض، فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة يتنعمون))(٢٠) وتدل الشجرة المباركة هنا عند بعض المفسرين على ((الوحي والملائكة رسل الله)) (٢١)

ومن ناحية الفائدة العملية يذكر الله اليقطين بقوله في سورة الصافات ((وأنبتنا عليه شجرة من يقطين))(٢٢)، وهنا حدد نوع الشجرة للإشارة الى النعمة التي على الانسان ان يشكر عليها خالقه. بالإضافة الى الظل الذي تحدثه الأشجار– ناهيك عن اثرها الطبيعي في تنقية الجو والاثار الصحية الأخرى فإن للشجرة فوائد جمة ((أستظل بأغصانها وافطر على ثمارها))(٢٣) إذ ترد هنا من باب النعم والخيرات.

هناك صنف من الشجر ترتبط بصفة إيجابية، مثل (شجرة الخلد) التي تعبر عن الملك الخالد الدائم، كما ورد في سورة طه: ((قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ))(٢٤)، بمعنى: هل ادلك على شجرة إن أكلت منها خلدت فلم تمت، وملكت ملكا لا ينقص ولا يبلى(٢٥). ونجد اقتران (الشجرة) بلفظة (طيبة)، في ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابتٌ وفرعُها في السّماء))(٢٦). ففي قوله "اصلها ثابت" يعنى انها مرتكزة الى الأرض، وضاربة بعروقها فيها، اما قوله "فرعها في السماء" فيشير الى تفرعها وكثرة اغصانها وعلوها(٢٧).

ومما ذهب اليه المفسرون في تفسير كلمة "طيبة" أنها توحيد الله وعدم الاشراك به، أو أنها ((كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة. أما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار))(٢٨). وورد في التفاسير أن الشجرة المباركة هي الوحي والملائكة، رسل الله الى النبي والمباركة هنا بمعنى كثيرة المنافع(٢٩).

---

(٢٠) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري: (ج١٧٧/١٩)

(٢١) البحر المحيط، أبو حيان الاندلسي: (ج٤١٩/٦)

(٢٢) (الصافات: ١٤٦)

(٢٣) الكشاف، الزمخشري: (ج٢٣٠/٥)

(٢٤) (طه: ١٢٠)

(٢٥) ينظر: تفسير جامع البيان، الطبري: (ج٣٨٧/١٨)

(٢٦) (إبراهيم: ٢٤).

(٢٧) ينظر: الميزان، الطباطبائي: (ج١٨٨/١٢).

(٢٨) الكشاف، الزمخشري: (ج٣٧٧/٣)

(٢٩) (البحر المحيط، أبو حيان الاندلسي: (ج٤١٩/٦)

وتأكيدا على ذلك يرد ذكر الشجرة من ناحية فائدتها بقوله تعالى((هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ))(٣٠)، إذا تبين الآية أن الله هو الذي انعم على الانسان بهذه النعم، وهو الذي خلق الانعام والخيل لمنفعته، وهو الذي انزل من السماء المطر، منه يشرب الناس ويسقون اشجارهم ونباتاتهم، وفيها يرعون ابلهم ومواشيهم، وعلى ذلك وجب الشكر والطاعة(٣١).

ان الدلالة الإيجابية تتمحور حول ذكر خيرات الله وأنعامه على الانسان بغية تعليمه استخدامها من جهة، وتمجيدا للخالق على افضاله من جهة أخرى. وقد تقترن بصفة واضحة مثل (شجرة مباركة) او يفهم منها الوجه الإيجابي مثل الأشجار التي يستثمرها الانسان في غذائه وفي دوائه وفي منافع أخرى كثيرة.

الصيغة الثانية:

ترد الصيغة الثانية على عدة اشكال: الابتعاد عن الكفر والشرك، وتصوير أشكال العذاب وشدته، والتحذير من معصية أوامر الله سبحانه، كما سيتضح أدناه.

أولا: الكفر والشرك

في سورة إبراهيم، (الاية:٢٤) تحدث الله تعالى عن الكلمة الطيبة وهي التوحيد على رأي العديد من المفسرين(٣٢) وكيف أن لها أصلا ثابتا، وفرعها في السماء. وتكمل الاية الصورة التحذيرية وتنتقل من الوجه الإيجابي المتمثل بالكلمة الطيبة كما بينا في الصيغة الأولى من هذا البحث، الى الوجه السلبي من خلال الاية ((وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ))(٣٣).

وقد فسرت الكلمة الخبيثة على أنها ((كلمة الشرك))(٣٤) او الكلمة القبيحة أو تلك الشجرة غير طيبة الثمار، اما اهم حالة وردت في الآية فيحددها الفعل (اجتثت) على اعتبار ان سمة الثبات هي اشد الأشياء ارتباطا بالشجر إضافة الى ثمرها. بمعنى أنها مضرة وغير مستساغة الطعم من جهة، وغير مستقرة بجذورها في الأرض من جهة أخرى. وكتشبيه يحيل ذلك الى الكلمة الخبيثة أي الشرك أو النفاق أو النميمة وما الى ذلك من

(٣٠) (النحل: ١٠)

(٣١) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (ج٢٦٨/١٧)

(٣٢) ينظر: الميزان للطباطبائي: (ج١٨٨/١٢)، وكذلك: الكشاف للزمخشري: (ج٣٧٧/٣)

(٣٣) (إبراهيم: ٢٦)

(٣٤) الكشاف، الزمخشري: (ج٣٧٨/٣)

أقوال قبيحة. وهو ما أرادت الآية أن تبينه: الكافر غير مستقر ولا يمتلك الثبات الكافي على موقفه، والكفر يؤدي الى الضرر وسوء العاقبة للإنسان نفسه وللمحيطين به، والامر على العكس من الايمان تماما(٣٥).

ثانيا: أشكال العذاب:

اما الوعيد المرتبط بالأشجار فأكثر الأمثلة وضوحا عليه يتمثل في ذكر شجرة الزقوم حيث يؤكد النص القرآني على أنها تنبت من الجحيم. وتلخص سورة الصافات المراد من شجرة الزقوم والوصف الدقيق لها من خلال عدة آيات تزخر بالوعيد وتصور عذاب الجحيم بصور بلاغية مؤثرة ((أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ. إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ. إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ . فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ))(٣٦).

يركز القرآن الكريم على العاقبة، ويقسمها الى اثنين: احداهما الجنة، والأخرى الجحيم. ففي قوله (أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ)) إشارة الى المقارنة بين الرزق المعلوم والسعادة في الجنة في مقابل الألم والغم لأهل النار ((فأيهما خير في كونه نزلاً))(٣٧). اما قوله (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ) للدلالة على القدرة الإلهية في امكانية انبات الشجر في النار، وقيل أن الامر مأخوذ على المجاز(٣٨). ومع ان التفاسير تذهب الى أن شجرة الزقوم تعبير مجازي إلا أن الالوسي وصفها قائلا: ((الزقوم اسم شجرة صغيرة الورق مرة، كريهة الرائحة ذات لبن إذا أصاب جسد إنسان تورم))(٣٩).

وتتكرر لفظة الزقوم بارتباطها بالجحيم والعذاب، وتقترن بالشجرة، كتعبير عن ثباتها وتشعب أنماط العذاب فيها. ففي باب التحذير والنذير ترد الآية التالية في سورة الواقعة كخطاب للضالين المكذبين أنهم ((لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ))(٤٠)، وهي حسب البحر المحيط الشجر الذي هو الزقوم إذ أن (من الأولى) لابتداء الغاية، او للتبعيض؛ اما الثانية لتبيان الجنس او النوع(٤١). وهي هنا الشجر المؤذي او المعبر عن الشر او الضرر من اجل الموعظة وتجنب الفتنة، وهي عقاب أيضا للكفار والمشركين، كأشد أنواع العقوبة إيذاءً وايلاما.

---

(٣٥) ينظر: تفسير جامع البيان: أبو جعفر الطبري: (ج٥٨٣/١٦)

(٣٦) (الصافات: ٦٢-٦٦)

(٣٧) الكشاف، الزمخشري: (ج٢١٣/٥)

(٣٨) المصدر نفسه: (ج٢١٣/٥)

(٣٩) روح المعاني، الالوسي، (ج١٢٧/٢٣)

(٤٠) (الواقعة: ٥٢)

(٤١) البحر المحيط، أبو حيان الاندلسي: (ج٢٠٩/٨)

ويرد في سورة الاسراء تعبير قريب من شجرة الزقوم لكنه متعدد التأويلات. وكتعبير عن تأكيد فعل التحذير ترتبط الشجرة بالرؤيا والفتنة، حيث تعتبر الشجرة الملعونة مرادفة للخداع والوقوع فيما نهى الله عنه من الموبقات، من خلال قوله تعالى ((وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ))(٤٢). فلما سئل بن عباس عن الشجرة الملعونة في القرآن فقال هي هذه الشجرة التي تلوي على الشجرة (...) عني بها شجرة الزقوم(٤٣) ، كما ورد عند الطبري، وإلى ذلك ذهب الزمخشري(٤٤) ؛ لكن هناك رأي آخر يقول ان الشجرة لا تلعن لذاتها بل يلعن أصحابها على المجاز جراء افعالهم.

ثالثا: معصية الخالق:

اما أمر الاجتناب ففيه مقولات كثيرة، لكنها لا تخرج عن باب الاختبار، ومعرفة مدى التزام الانسان بالأمر الإلهي.

ففي سورة الأعراف ((وَيا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُما وَلا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ. فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطانُ لِيُبْدِيَ لَهُما ما وُورِيَ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهِما وَقالَ ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ. وَقاسَمَهُما إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ. فَدَلاَّهُما بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَناداهُما رَبُّهُما أَلَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُما إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ))٤٥، يرد ذكر الشجرة أربع مرات من خلال قصة مقتضبة تتراوح بين صدور النهي الإلهي عن الاقتراب من الشجرة وبين تبيان العاقبة لمعصية هذا النهي. وقد خص الله بالأمر الإلهي الارشادي لآدم (ع) وألحق به في الحكم زوجته(٤٦). إن خداع الشيطان لهما يتمظهر بادعاء النصح وابطان الغش، للبرهنة على أن الشيطان هو عدو للإنسان(٤٧). والامر نفسه يتكرر في سورة البقرة ((وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ))(٤٨). أما الحكمة من عدم الاقتراب من الشجرة، لأن الاقتراب منها يؤدي الى الظلم وكي يختبر الله آدم وزوجه ومدى التزامهما بالأوامر الإلهية. ويلاحظ اختلاف اسم الإشارة (تلكما) في هذه الاية عن اسم الإشارة في الاية السابقة التي قصت الحكاية للمرة الأولى (هذه الشجرة)، إذ ان تلك تعبر عن

(٤٢) (الاسراء: ٦٠)

(٤٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري: (ج٤٧٩/١٧).

(٤٤) ينظر التفسير في كشاف الزمخشري ج٥٢٧\١٣.

(٤٥) (الأعراف: ١٩-٢٢)

(٤٦) ينظر: الميزان، الطباطبائي: (ج٢٠١/٨)

(٤٧) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الاندلسي: (ج٢٨١/٤).

(٤٨) (البقرة: ٣٥)

البعد والمسافة بينما هذه تدل على الإشارة للقريب، بمعنى أن استخدام ((هذه الشجرة)) لأن آدم وزوجه كانا في الجنة قريبين ماديا ومعنويا من رحمة الله ورعايته؛ بينما هما بعيدان عنه في الاية التالية بعد أن تحقق فعل الابعاد والطرد من الجنة ولذلك استخدمت كلمة (تلكما الشجرة).

وهناك تصور آخر مغاير فيما يخص وقوع اللعن على الشجرة، بأن الامر ليس متعلقا بجوهر الشجرة نفسها. بمعنى أن الشجرة هنا ليست موسومة باللعن ولا بالمدح، ولم تذكر الآيات سببا واضحا للمنع يخص نوع الشجرة او ثمارها؛ لكن بسبب وسم المقترب منها بكونه من الظالمين، وبسبب الاقتران بالغضب الإلهي والخروج من الجنة؛ فإن الشجرة المذكورة في هذه الاية تعبر عن عدم الرضا الإلهي اكثر من ارتباطها بالشكل الحيادي من التوصيف كما سنبحث لاحقا في الصيغة الثالثة.

الصيغة الثالثة:

وهي الصيغة الحيادية التي لا هي إيجابية مثل الصيغة الأولى ولا سلبية مثل الصيغة الثانية، حيث تكون إما دلالة على مكان او تعداد لخيرات الله او تكون من ضمن أشياء أخرى يتم تعدادها.

ففي الآية ((أَلم تَرَ أَنّ اللهَ يسجدُ لهُ مَنْ في السمواتِ ومَنْ في الأرض وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ))(٤٩) ترد مخاطبة الله تعالى لنبيه محمد بقوله: ألم تر يا محمد بقلبك، فتعلم أن الله يسجد له من في السماوات من الملائكة ومن في الأرض من الخلق (...) والشمس والقمر والنجوم في السماء، والجبال والشجر، والدواب في الأرض(٥٠). والسجود هنا من باب الطاعة والانقياد لقوانين الله وقدره(٥١). والجدير بالذكر أن الشجر هنا مذكور بشكل حيادي لا بصفة إيجابية ولا سلبية، وليس هناك مدح او ذم بل تعداد وسرد بالاشياء والمخلوقات التي تسجد لله تمثلا بقدرته وطاعة لقوانينه. والسجود هنا معنوي وليس حقيقيا كما في الاية ((وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ))(٥٢) وقيل في سجود الشجر المعنى المجازي أي ما يسقط على الأرض من ظل، وقيل فيه أنه خضوع وتذلل وانقياد لله سبحانه(٥٣).

---

(٤٩) (الحج: ١٨)

(٥٠) ينظر: تفسير جامع البيان، أبو جعفر الطبري: (ج٥٨٦/١٨)

(٥١) ينظر: الكشاف، الزمخشري: (ج١٨٢/٤).

(٥٢) (الرحمن: ٦)

(٥٣) البحر المحيط، أبو حيان الاندلسي: (ج١٨٧/٨)

ومن الوصف الحيادي ما يرد في سورة النمل ((فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا))(٥٤)، والمعنى مقيد بالحصر على الخالق في إعطاء الاذن بالإنبات. والشجر هنا ليس ممدوحا ولا مذموما لكينونته بل هو مثال على القدرة الإلهية بالمقارنة مع القدرة البشرية.

والمعنى يتكرر أيضا مع إضافة القدرة على صنع البهجة والجمال مضافا اليه فعل الصنع نفسه. إذ ان الله بقدرته اللامتناهية ليس بقادر على صنع النبات وانباته وخلقه من عدم فقط؛ بل أن الحدائق وبخاصة الطبيعية بما فيها من تناسق وتكامل وتداخل وجمال هي معجزة بحد ذاتها بالقياس الى قدرة الانسان. لقد ((انبتنا بالماء الذي أنزلناه من السماء لكم هذه الحدائق اذ لم يكن لكم طاقة ان تنبتوا شجر هذه الحدائق))(٥٥) والامر متعلق بالقدرة بالمقارنة بين الخالق والمخلوق.

ومن الإشارات المكانية نجد أن الاية (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ))(٥٦) تلك الإشارة الى البقعة المباركة من صلة الشاطئ، وقيل أن معنى قوله (من الشجرة): عند الشجرة (٥٧) أو هي المكان او الجهة التي جاء منها النداء أي من شاطئ الوادي من قبل الشجرة، لأن الشجرة كانت نابتة عند الشاطئ(٥٨).

وللمقارنة بين الفعل الإلهي في أخص خصيصة إنسانية ألا وهي اللغة والكلام وبين القدرة الإلهية اللامتناهية، ترد الشجرة لتوصيف أن الله لا يعجزه شيء، ولا يخرج عن علمه وحكمته شيء، ومثله لا تنفد كلماته وحكمه(٥٩) من خلال الاية ((وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ)) بمعنى لو ان شجر الأرض بريت اقلاما او لو جعل شجر الأرض اقلاما لنفد ماء البحور وتكسرت الأقلام وما نفدت كلمات الله (٦٠).

---

(٥٤) (النمل: ٦٠)

(٥٥) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري: (ج٤٨٣/١٩)

(٥٦) (القصص: ٣٠)

(٥٧) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري: (ج٥٧٢/١٩)

(٥٨) ينظر الكشاف، الزمخشري: (ج٤٩٩/٤)

(٥٩) الكشاف، الزمخشري: (ج٢٠/٥)

(٦٠) مصدر: تفسير جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري: (ج١٥١/٢))

ولبيان القدرة على تحويل الأشياء من طابعها المباشر أي من الشجر الأخضر إلى صورة الحطب يقول تعالى ((الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ))(٦١). فالخالق القادر على كل شيء والمسيطر على كل شيء والذي ((أخرج لكم من الشجر الأخضر نارا تحرق الشجر، لا يمتنع عليه فعل ما أراد، ولا يعجز عن احياء العظام التي رمت واعادتها بشرا سويا وخلقا جديدا، كما يراها أول مرة))(٦٢) بمعنى أن لا غير الله قادر على إيجاد صفة جوهرية في الشيء خلاف الصفة العرضية والمرئية وأن من بدائع خلق الله انقداح النار من الشجر الأخضر، وقد ورد في المثل: في كل شجر نار(٦٣).

ولفظة الشجرة في الآية ((إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ))(٦٤)، تحمل معنى محايدا رغم ان فعل المبايعة إيجابي في جوهره لكن الشجرة نفسها لم توصف لذاتها وذلك لجذب الانتباه جهة المبايعة اكثر من المكان الذي وقعت فيه. وكذلك حددت الاية ((لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)) (٦٥) مكانا لاجتماع المسلمين حيث كان الرسول يجلس تحت الشجرة (٦٦)، والتأكيد هنا على رضا الله عن المؤمنين ومباركته لفعل المبايعة وليس على مكان وقوع الحدث.

وكدليل على فعل الخلق ترد الشجرة كمقارنة بين ما يمكن أن يفعله الله تعالى وما يفعله البشر. إن المحاجة هنا تقوم هنا على الفرق بين القدرتين الإلهية والإنسانية بصيغة الاستفهام الاستنكاري، كما في قوله تعالى ((أَرَأَيْتُمُ النارَ التي تورونَ أَأَنتمْ أَنشأْتُمْ شجرتَها أَمْ نحنُ المنشئونْ)(٦٧) من أجل بيان أصل الانشاء والخلق العائد الى الله تعالى وتذكير للناس (أأنتم أحدثتم شجرتها واخترعتم أصلها (...) أم نحن اخترعنا ذلك وأحدثناه)) (٦٨)

---

(٦١) (يس:٨٠)

(٦٢) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري: (ج٢٠/٥٥٦)

(٦٣) ينظر: الكشاف، الزمخشري: (ج٥/١٩٧).

(٦٤) (سورة الفتح: ١٨)

(٦٥) (الفتح: ١٨)

(٦٦) (البحر المحيط، أبو حيان الاندلسي: (ج٨/٩٥)

(٦٧) (الواقعة: ٧٢)

(٦٨) (جامع البيان، الطبري: (ج٢٣/١٤٤)

وترد كلمة شجر بمعناها الحيادي للدلالة المكانية في سورة النحل ((وأَوحى ربُّكَ إلى النّحلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ))(٦٩)، للتعبير عن الامر الإلهي باتخاذ النحل للجبال والشجر فضاء للحركة.

الخاتمة :

من خلال البحث سعت الباحثة لاستكشاف الدلالات المصاحبة للفظة الشجر ومشتقاتها في القرآن الكريم، وكانت على ثلاثة أصناف، الأول منها يتعلق بالدلالة الإيجابية مثل (شجرة الخلد) و (شجرة طيبة)، ومنها يتعلق بالدلالة السلبية مثل (شجرة الزقوم) ومنها الدلالة الحيادية كأن تكون وصفا لمكان او تحديد لموقع جغرافي (يبايعونك تحت الشجرة).

إن للشجرة دلالات متعددة أهمها ما يتعلق بعلاقة الانسان بالخالق، ومنها ما يتعلق بقدرة الله بالمقارنة مع قدرة الانسان، ومنها يتصل بذكر نعم الله، ومنها يتعلق بالموقع او بالمكان. فمن أجل أن يوضح القرآن الكريم موقع العبادة وأهميتها وضرورة توحيد الله جل وعلا وإطاعة أوامره والابتعاد عن نواهيه، ضرب بالشجرة مثلا كما في الايات (البقرة ٣٥، الأعراف ١٩، الأعراف ٢٠، الأعراف ٢٢، الأعراف ٢٢، طه:١٢٠، الإسراء ٦٠، الصافات:٦٢، الصافات:٦٤، الدخان٣٣-٣٤، الواقعة:٥٢، الحج:١٨، الرحمن:٦).

وفي باب سرد القدرة الإلهية في الخلق وعدم قدرة الانسان على الاتيان بما يقدر الله سبحانه أن يأتيه تحدثت الآيات (النمل ٦٠، يس ٨٠، الواقعة:٧٢) عن الاعجاز الإلهي في الخلق والتكوين والمقدرة.

وضرب الله بالاشجار مثلا على النعم والخيرات إذ أن الأشجار بالإضافة الى الماء والهواء هي اصل الحياة ولولاها لما استطاع الانسان أن يبقى فقد سخر الله له الأشجار والنباتات كطعام من باب الانتفاع كما نجد ذلك في الايات (النحل:١٠، النحل:٦٨، لقمان:٢٧. الصافات ١٣٦ الصافات:١٤٦ .المؤمنون:٢٠، النور:٢٤).

وذكرت الأشجار في القرآن لكي تدل على الموقع الجغرافي او المكان كما في (القصص:٢٨، الفتح:١٨).

وكل تلك الوجوه تقع في باب النصح والإرشاد الى الحق والصلاح، وتمجيد للقدرة الإلهية، وتذكير بخيرات الله، والترغيب في الايمان به الى جانب الوعيد في حالة المعصية او التنكر له او الشرك به، كما تضح تفصيلا في ثنايا البحث.

(٦٩) (**النحل: ٨٦**)

Summary

The researcher sought to explore the connotations associated with the word tree and its derivatives in the Holy Quran, and it was on three varieties, the first of which relates to the positive sign, such as the mole tree and the good tree, A description of a place or a geographical location (they sell you under the tree.(The tree has multiple connotations, the most important of which relates to the relationship of man to the Creator, including with regard to the ability of God as compared to the ability of man, including the mention of the Yes God, including the site or place. In order for the Holy Quran to clarify the site of worship and its importance, and the necessity of unifying God Almighty and obeying His commands and moving away from His intentions, he struck the tree, for example, as in the verses (Baqarah 35, Al-A'raaf 19, Al-A'raf 20, Al-A'raf 22, Al-A'raf 22, Taha 120, : 62, Safat: 64, smoke 33-34, located: 52, Hajj: 18, Rahman: 6.(In the section of the narration of the divine power in creation and the inability of man to come to what God Almighty can come to, the verses (Ants 60, 80, 72: 72) spoke of the divine miracles in creation, form, and ability.And God struck trees, for example on the blessings and good things, as trees in addition to water and air is the origin of life and otherwise it could not be left to God has used him trees and plants as food for usability, as we find in the verses (bees: 10, bees: 68, Luqman: 27 Al - Safat 136 Al - Safat: 146 The Believers: 20, Al Noor: 24.(

Trees are mentioned in the Qur'an to indicate the geographical location or place as in (Al-Qasas: 28, Al-Fath: 18.(And all those faces fall in the door of advice and guidance to the right and righteousness, and glorification of the divine power, and reminding of the goodness of God, and the encouragement of faith in it coupled with the warning in the case of disobedience or denial or polytheism, as detailed in the folds of research.

المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: المعاجم:

١- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق عامر احمد حيدر، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣.

٢- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، القاهرة: دار الدعوة، ٢٠٠٤.

٣- المنجد في اللغة، لويس معلوف، دار المشرق، بيروت- لبنان، ٢٠١٤.

٤- البحر المحيط، أبو حيان الاندلسي، تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود، الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.

٥- مجمل اللغة، أبو الحسين بن زكريا، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٩٨٦.

٦- مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر ابي بكر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، ١٩٨١.

ثالثا: كتب الصرف:

١- موسوعة النحو والصرف والاعراب، اميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين – بيروت. الطبعة الأولى ١٩٨٨.

٢- أبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، مكتبة النهضة- بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٦٥.

ثالثا: التفاسير:

١- كتاب المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الراغب الاصفهاني، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى – ١٤١٢ هـ.

٢- الميزان في تفسير القران، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، صححه وأشرف على طباعته: الشيخ حسين الاعلمي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة: الاولى ١٩٩٧.

٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، لطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

٤- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، الهيئة العامة للتأليف والنشر، دار المعارف – القاهرة، ١٩٧٠.

٥- الكشاف، العلامة جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨.